ومن الحب ما بقى

فاتن عبدالرؤف - مصر

فى إحدى الليالى الشتوية التى أراد المطر فيها أن يرسم بمائه على الأرض لوحة فنية تحمل أثار الأقدام وعجلات السيارات، كان من بين هذه الآثار، آثار أقدام لفتاة تعشق الشتاء بكافة تفاصيله، فتجد فى معاطفه ذلك الدفء والحنان الذى تحرمها منه حرارة الصيف، تلك الأيادى المتشابكة التى كلما رأتها حلمت أن تجد مثلهم تلك الأيد التى تحضن يدها ولا تتركها مطلقا ،قطرات المطر التى تزين النوافذ وتعانق الورود، كل شىء فى الشتاء ساحر.

لكن هذه المرة الأولى التى تخاف فيها من الشتاء، وذلك عندما تعطلت سيارتها فى منتصف طريق لا يوجد به مارة، لأول مرة قطرات المطر تزعجها، ومنظر البرق وصوت الرعد يلقيا الرعب فى قلبها ،حتى أن شبكة الهاتف معطلة فلا تستطيع أن تتصل بأبيها لتطلب منه المساعدة ،كرهت وقتها الشتاء الذى تحول من مشهد رومانسي جميل ،إلى مشهد مخيف مرعب.

لم يكن أمامها سوى الانتظار، انتظار أن يمر أحد ليساعدها ،فأغلقت مظلتها ودخلت سيارتها إلى أن غافلها النوم قليلا ... لتستيقظ على صوت طرقات على نافذة السيارة ،فقد كان شابا وسيما فارع الطول، يرتدى ملابسا يبدو أنها باهظة الثمن ،يمسك بمظلة وينظر إليها عبر نافذة السيارة ،رغم هذا الجو الممطر والأرض

المبتلة إلا أن من يرى ملابسه يعتقد أنه مايسترو ذاهب ليقود أوركسترا ستعزف فى الأوبرا.

قامت بفتح نافذة السيارة فقال: هل من مساعدة أستطيع أن أقدمها لك أنستى؟.

شردت بذهنها قليلا وهى تنظر إليه،ثم أجابته بصوت مرتبك :سيارتى تعطلت وأنا فى طريق العودة إلى المنزل.

فقال لها ببساطة :منزلى قريب من هنا ،يمكنك أن تمكثى فيه حتى الصباح.

فقالت بتردد: شكرا لك، سأظل فى السيارة حتى الصباح.

يبدو أنه لاحظ إرتباكها ،فقال :لا تقلقى آنستى فوالدتى تعيش معى، وعلى كل حال أن تقضين الليلة فى منزلى ،أفضل من أن تقضينها فى هذا الطريق المهجور،ثقى بى.

ظلت تردد بينها وبين نفسها:يا إلهى كيف أثق بشاب غريب ؟،كيف أظل بمفردى معه ؟

لكن لم يكن أمامها خيارا آخرا فذهبت معه، فالبرغم من قلقها إلا أن شيئا ما كان يثلج قلبها ويشعرها بالأمان ،وأن هذا الشخص لن يؤذيها.

كان منزله ساحرا للغاية، يبدو أنه فنان تشكيلى يظهر هذا من كثرة اللوحات الموجودة بمنزلة. جلست تتأمل هذه اللوحات الجميلة عندما أتى لها بشىء ساخن

ومنشفة لتمسح ثيابها المبتلة.

ظلت تنظر إليه خلسة إلى أن قالت له:لا أدرى لماذا؟ لكننى أشعر أننى قابلتك قبل هذا اليوم .. فإبتسم لها وقال: ربما .....

صمت قليلا ثم قال: إنها الأقدار أنستى تفعل بنا ما تشاء، وتحركنا كيفما تشاء ربما هذا اللقاء كان مقدرا قبل هذا اليوم،لكنه لم يكتمل وشاء له القدر أن يكتمل اليوم.

ثم تركها وذهب، لم تفهم ماذا يقصد؟! لكنها لم تعلق مطلقا على كلامه وظللت صامته ،إلى أن داهم النوم عينيها ،وأستسلمت له.

وفى الصباح استيقظت ولم تجده فى المنزل ،فظنت أنه ذهب لعمله ولم يرد أن يزعجها. فهمت بالمغادرة... وفجأة جاءت هبت ريح قوية أوقعت إحدى اللوحات التى كانت مغطاه فقامت لتحملها من مكانها لتكن المفاجأة :فهذه اللوحة كانت رسمة لها فى ملابس أميرة من العصور الوسطى ، مكتوبا عليها سنلتقى يوما ما! أصابها الذهول عندما رأت هذه اللوحة، فى هذا اللحظة خرجت إمرأة عجوز ضريرة تقول بفزع:من هنا ؟

فقالت لها : أنا...أقصد الشاب الذى يسكن فى هذا البيت.

فقاطعت كلامها قائلة بصوت حزين: تقصدين ابنى رحمه الله ؟!لكنه توفى إثر حادث منذ عام ،والليلة الماضية كانت ذكرى وفاته.